"عندما تبدأ معركة الإنسان بينه وبين نفسه،

فهو عندئذٍ شخص يستحق الذكر"

جورج إيستمان (١٨٥٤-١٩٣٢):

المصاعب حينما تصنع العجائب

تُعد شركة "كوداك" من أشهر الأسماء في العالم، فبغض النظر عن اللغة، إلاّ أنها تمثل شيئا واحداً فقط هو التصوير. والشخص الذي اخترع وأسس هذه الشركة وسهل عملية التصوير كان اسمه جورج إيستمان.

بدأ إيستمان هواية التصوير وهو في الرابعة والعشرين من عمره، وعندها وضع هدفا واحدا في حياته: أن يجعل الكاميرا سهلة الاستعمال كالقلم، وفي متناول الجميع.

ولد جورج إيستمان في ٧/٢ /١٨٥٤، في قريته واترفيل، إحدى ضواحي نيويورك في الولايات المتحدة الأمريكية لعائلة تتكون من أب وأم وثلاثة أطفال، وكان والده طموحا. وعندما كان عمر جورج ٦ سنوات انتقلت العائلة إلى روشستر لتؤسس مدرسة ناجحة، وبعد سنتين توفي والده فجأة وتحول نجاح المدرسة إلى فشل. وفي وقت قصير أصبحت العائلة المرتاحة مادياً في حالة إفلاس. ولكن أمه ماريا إيستمان كانت منتجة مبدعة؛ واستطاعت بحكمتها أن تجعل الأمور تمضي بشكل جيد.

كان جورج ذكياً في المدرسة، لكنه كان كسولاً في العمل، وكان يحب البيسبول كثيرا. لم يُمض وقتاً طويلاً في المدرسة فتركها عندما كان عمره أربعة عشر عاماً.

وكان له أخت معوقة، وأصبحت المسؤوليات عليه كبيرة جدا كولد وحيد. لذلك عمل في شركة تأمين كمراسل يحمل الورق من مكان إلى آخر. وفي الخامسة عشرة انتقل إلى شركة تأمين ثانية وتحول من مراسل إلى كاتب وكان آجره ٥ دولارات في الأسبوع.

أدرك جورج إيستمان أن هذا الراتب لن يكفيه ليعيل عائلته، وتأكد من أنه لن يحصل على عمل أفضل منه ما لم تكن لديه مؤهلات علمية فبدأ بدراسة المحاسبة في المساء. وفي العام ١٨٧٤ عمل كاتباً في بنك روشستر للتوفير. وكان جورج متمسكاً بعمله في البنك في النهار بسبب الحاجة، وعندما كان يعمل في البنك كان يوفر بعض السنتات، وفي الوقت الذي كان يخطط فيه لرحلته إلى جزر الكاريبي في أسبانيا وكان قد وفر مبلغ ٣٠٠٠ دولار.

عندما بدا اهتمام جورج إيستمان بالتصوير عام ١٨٧٨ كانت هذه الصناعة في المراحل الأولى، وهي لم تتقدم كثيرا من تاريخ اكتشافها في العام ١٨٢٦، وقبل ذهابه لجزر الكاريبي اقترح عليه أحد أصدقائه بأن يشتري كاميرا ليصور المناظر هناك ليبيعها بعد عودته، فأعجب إيستمان بهذا الاقتراح فاشترى كاميرا وصف معداتها بأنها حمل كامل لحصان. كانت هذه الكاميرا ضخمة جدا، وكانت متكاملة، وتحتوي على خيمة كاملة وصفائح معدنية مليئة بالمواد الكيميائية، حتى الكاميرا كانت علبة كبيرة جداً، وكان منظرها مضحكا مقارنة بما نراه الآن في الأسواق.

كانت عملية التصوير تأخذ وقتاً خاصة في تظهير الأفلام، حيث كانت الصورة الواحدة تستغرق أكثر من ٢٠ دقيقة. وبعدها قرر إيستمان أن يأخذ دروساً في فن التصوير بهذه الآلات، وكانت دروساً شاقة مملة بالنسبة له.

- طابع يحمل صورة جورج إيستمان -

ذات يوم عندما كان يقرأ موضوعات في مجلة بريطانية عن التصوير، وجد حلاً لمشكلة واجهته أثناء التصوير، كان هناك عدد من المصورين في الاتلنتيك يجرون تجارب عدة في التصوير، وهو يريد أن يتخلص من الصفائح الضخمة الرطبة والجافة. وبينما كان يقوم بتجاربه في مطبخ والدته استطاع اختراع أفلام أقل تعقيدا للتصوير، وقرر ألا يصنعها لنفسه عندما يريد التصوير، وإنما يستطيع أن يصنعها ويبيعها إلى الآخرين.

كان إيستمان يعمل في البنك خلال الصباح، وفي الليل كان يحول مطبخ والدته إلى مختبر كامل، وفي أحيان كثيرة كان ينام في ثيابه، ولا يحس بأنه نائم على الطاولة في المطبخ؛ لأنه كان يحاول أن يصل إلى هدفه في أسرع وقت، وقد أخذ من الوقت سنتين لتصميم الفيلم الذي كان يحلم به طوال عمره.

قرر إيستمان بعد ذلك أن يفتح مؤسسة تبيع الصفائح الجافة إلى من يحتاج إليها، لكنه كان يواجه صعوبة في تمويل تجارته. وعلى الرغم من أنه كان لديه ٣٠٠٠ دولار، فإنه كان يعلم أنه يحتاج إلى أكثر من ذلك ليفتح معملاً، لأن عليه أن يشتري معدات وآلات وأن يدفع الإيجارات والرواتب قبل أن يتوقع أي مردود. في العام ١٨٧٩ قام بتصنيع الأفلام الجافة في روشستر، وفوجئ بعد ذلك بشخص اسمه هنري سترونغ، لا يفهم كثيرا في التصوير ولكنه كان رجل أعمال ناجحاً قرر أن يستثمر في شركة إيستمان العام ١٨٨٠، ومرة ثانية في العام ١٨٨١م.

كان سترونغ داعماً لإيستمان إلى أبعد الحدود حتى إنه قال: إنه إذا خسر المشروع سيتحمل الخسارة وحده، ثم أصبح سترونغ شريكا أساسيا، ومالكا مشتركا مع جورج إيستمان، وكون الاثنان فريقا ممتازا في اتخاذ القرارات وإدارة الشركة. عندما انتقلت شركة إيستمان لصناعة الأفلام الجافة على الطابق الثاني من مستودع في روشستر، وكان عمره ٢٧ عاما وما زال يعمل في البنك خلال النهار وفي صناعة التصوير في المساء، وكان لديه عامل واحد يساعده في تشغيل هذه المؤسسة.

كانت سمعة أفلام إيستمان جيدة لدى الهواة والمحترفين. ثم تطورات المبيعات بشكل جيد وارتفعت، واستمر إيستمان في العمل خلال النهار حتى شهر سبتمبر عام ١٨٨١، وكان الدخل الشهري للشركة حينها ٤٠٠٠ دولار. وإن كل شيء على ما يرام حتى العام ١٨٨٢ عندما بدأ الناس بإعادة الكاميرات الجديدة، وبالفعل لاحظ جورج وجود خلل في الأفلام، لذلك قرر -كخطوة أولى- أن يبدأ بتغيير الأفلام، وبدأ اهتمامه ينصب على تحويل الأفلام الزجاجية إلى أفلام ورقية. وبالتالي فإن الورق أرخص سعرا في أي مواد أولية ثانية، وبذلك يستطيع أن يخفف من مصاريف وأعباء التصوير. وقد بدأ باختباراته التي لا تكل. وبعد كل وتعب استطاع إيستمان أن يطرح فيلماً حساسا جديداً أثبت أنه اقتصادي ومرن وأفضل بكثير من الأفلام التي سبقته، وبعدها توسعت الشركة، ولم تعد بين إيستمان وسترونغ فقط، إنما أصبح لديها ١٤ شخصا ممولا دفعوا التوسيع بشكل عام، ودعم اختباراتها وأبحاثها المتكررة.

أصبح سترونغ رئيس الشركة، وجورج إيستمان مديرها العام وأمين الخزينة، وانطلاقاً من وظيفته كأمين للصندوق كان عليه أن يدير الأمور المالية للشركة، وكمدير عام كان عليه أن يدير أعمال الشركة ويتابعها يوماً بيوم.

لم يلق الفيلم الجديد الذي طرحته شركة إيستمان و"كوداك" أي نجاح يذكر لأن معظم المصورين فضلوا أن يستخدموا الأفلام الجافة، لأنها تعطى طباعة ممتازة، والكثير من الناس لم تكن لديهم القدرة لأَخْذ التصوير هواية، إنما كانت مع الأشخاص المحترفين فقط.

تعلم من هذا الفشل الكثير، وقد حصل قبل توزيع أفلام شركته على براءة اختراع من حيث المنتج ومن حيث التحضير، وكانت النوعية ممتازة جدا، ولكن تحميض هذا الفيلم كان يأخذ وقتا طويلا وعلى الرغم من النجاح الفيلم كان يأخذ وقتا طويلا. وعلى الرغم من النجاح المحدود لهذا المنتج، لكنه لم يعط إيستمان النجاح الباهر للأسواق الكثيرة التي كان يريد أن يغزوها والذي يهتم كثيرا بالتصوير لن تجذبه إلا كاميرا صغيرة الحجم يستخدمها في أي مكان يريد، وللأسف فشلت هذه الكاميرا للمرة الثانية، وحيث إنه تم تصميم ٥٠ كاميرا فقط، ولم يبع أكثر من ٨ كاميرات، وعلى الرغم من أن أمله خاب بمرارة فقد رفض أن ييأس، لأنه كان مقتنعا تماماً بأن الفكرة الأساس لاختراع كاميرا صغيرة وسهلة الاستعمال، هي فكرة صائبة على الرغم من كل الفشل الذي واجهه.

في شهر يونيو حزيران العام ١٨٨٢، وبعد محاولات عدة، وصل إيستمان إلى تصميم كاميرا صغيرة الحجم، وكان يريد أن يعطيها اسما يجعل الجميع في حيرة في معنى هذه الكلمة.

حلم إيستمان بكلمة "كوداك" لوصف كاميرا صغيرة صممها، لأنه ظل مدة طويلة يبحث عن كلمة قوية صعبة النسيان. ولما اختار "كوداك" سجلها علامة تجارية، وأحس بأنه اختار أفضل اسم لهذه الكاميرا.

ما معنى "كوداك"؟

يقول إيستمان عن هذا: "اخترت حرف K فهو أفضل حرف بالنسبة إلي؛ لأنه حرف قوي وغريب كحرف أبجدي، وكنت أحاول أن أعمل خليطاً من الأحرف لكي أجعل الكلمة جميلة، وقررت أن يكون K أول حرف من اسمها". وعندما قدم إيستمان طلب تسجيل الكاميرا، كتب " "كوداك" هذه ليست كلمة أجنبية، إنما أنا الذي صممتها لسبب واضح، أولاً لأنها كلمة واحدة وقصيرة، وثانياً لا يمكن أن تلفظ خطأ فهي واضحة جدا، وأخيراً هي لا تشبه أي شيء في الفن، ولا تشبه شيئاً أبداً سوى "كوداك".

كانت الكاميرا "كوداك" صغيرة خفيفة وليس فيها أي خطأ. وحتى إن الكاميرا لم يكن لديها أي عين للرؤيا من خلالها، أو لمشاهدة المنظر قبل إطلاقه كان هناك حرف V لمشاهدة المنظر الذي يريد أن يلتقط صورة له، وكانت هذه الكاميرا تحمل ١٠٠ صورة في الفيلم الواحد، وهكذا حول جورج إيستمان التصوير إلى ٣ خطوات سهلة جدا.

وتم التسويق لها بجملة واحدة": أنت تضغط على الزر، ونحن نفعل الباقي" ثم نجحت هذه الكاميرا نجاحا منقطع النظير، حتى إن الناس أصبحوا يلفظون كلمة "كوداك" بدلا من كلمة كاميرا، فيقولون أحضر "كوداك"، بدلا من أحضر الكاميرا.

بعد سنتين من الأبحاث قام العالم الكيميائي هنري أوراسين باخ باختراع لعملية التصوير، وتوصل في أواخر العام ١٨٨٨ إلى اختراع فيلم شفاف كان قويا وواضحاً، وقد بدأت هذه الكاميرا تغزو الأسواق الأوروبية، ومنها باريس ولندن، وبدأ إيستمان بشراء المصانع في البلدان، وذلك لصعوبة النقل، ثم قرر أن تكون

هناك فروع للشركة في العالم، كما قام ببيع الكاميرا بدولار واحد لتصبح في متناول الجميع.

- شعار شركة كوداك -

وفي أواسط العام ١٨٩٠ بيع أكثر من مئة ألف كاميرا ٣٠٠ ميل من الأفلام كل شهر وهكذا حقق إيستمان حلمه بأن يجعل التصوير عملية منتشرة عالميا وفي متناول الجميع. وفي العام ١٨٩٥ اخترع العالم الفيزيائي الألماني وينهم رونجان، اشعة إكس، وكانت فوائدها عظيمة جدا بالنسبة إلى إيستمان؛ لأنه بعد سنة كانت كوداك تصنع أفلام أشعة إكس.

كان إيستمان مؤمنا بأن اهتمامه بموظفيه سيرفع من إنتاج الشركة بشكل كبير؛ لذلك خفض ساعات عملهم من دون أن يخفض أجرهم، وصمم برنامجا لرعايتهم وحمايتهم في حالة الحوادث والمرض، ووصل عدد موظفي الشركة في العام ١٩١١ إلى ٥٠٠ موظف.

لم يتزوج جورج إيستمان في حياته، ونذر نفسه لعمله، ويقال عنه إنه كان شخصاً مملوءاً بالتناقضات، فهو كريم جداً أحياناً، وقاس جداً أحياناً أخرى. وعلى الرغم من أنه طور التصوير، ووجد ملايين البشر مهنة جديدة بفضل أبحاثه واختراعاته، إنما لم يكن يحب أن يصوره أحد!!

كان يحب الموسيقا وصيد السمك والقراءة ورحلات السفاري في إفريقيا، وحكمته تقول في هذا الشأن: ما نفعله في أوقات عملنا يحدد ما لدينا، وما نفعله في أوقات فراغنا يحدد من نحن.

وفي ١٩٣٢/٣/١٤ دعا بعض الأصدقاء إلى منزله حيث تنازل أمامهم عن كل ثروته لجامعة روتشستر، وبعدها صعد إلى غرفته وأطلق النار على نفسه، وترك رسالة قصيرة قال فيها: "لقد أنجزت عملي فلماذا الانتظار؟".

- كاميرا حديثة لكوداك -